عقدة التكوين

د.إيهاب ممدوح عبدالفتاح

يعتبر الكاتب الفرنسى ميشال بوتور من أحد أهم كتاب الرواية القائمة على تنمية إبداع القارئ، وعلى البحث والتصور ومحاولة الاكتشاف، من خلال نوع جديد من الأدب فى فرنسا يسمى بـ»الرواية الجديدة»، وأحد رواد تيار «الرواية الجديدة»، أمثال: آلن روب جرييه وناتالى ساروت وكلود سيمون الحائز على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٨٥.

هذه الحركة الأدبية الجديدة ذات التوجهات المختلفة لكل مؤلف أو كاتب، حيث الشعور بالحاجة للتجديد، ومحاولة تطوير التقنيات الروائية، وإتقان المؤلف لبعض الثقافات المختلفة التى تسمح له بالوجود من خلال مغامرة الكتابة المبتكرة غير التقليدية، ووضع صلة بين الرواية الجديدة، والخيال العلمى، والبعد عن الشكل التقليدى أو السياق القديم للرواية، ومحاولة تقديم عالم آخر من الأشكال التعبيرية من خلال هذا النوع الأدبى الجديد الذى يبعد عن الروية التقليدية، متخذًا ألوانًا أخرى من الأدب، ومستخدمًا تقنيات لغوية جديدة فى عملية السرد الروائى، ومن خلال عناصر وأشياء من حياته الخاصة يجعل بها القارئ يرى عالمًا جديدًا لم يره من قبل؛ حيث الوصف والمغامرات الفكرية والإنسانية، والغموض والحوار الداخلى، واستخدام الأساليب المعقدة والألغاز التى تشغل فكر القارئ، وتفتح له الآفاق، وتدعوه للاكتشاف والبحث عن كل ما هو جديد، وطرح أسئلة لا يجيب عنها إلا فهمه وأفكاره ونظرته تجاه الأشياء وتجاه حياة أكثر عمقًا، وفيها يعد القارئ كتابة بخياله وفقًا لمفاهيمه من خلال قراءة متعمقة للموضوع؛ حيث يتم التعامل ببراعة مع عامل المكان والزمان والشخصية بشكل مختلف وغير تقليدى، وعلى أسس خيالية، وأيضًا الفترة الزمنية المستخدمة فى وصف الأحداث.

نلاحظ أيضًا الاهتمام الكبير بالمشاعر الإنسانية العميقة والوقائع الظاهرة، والاهتمام أيضًا بالذاكرة، وآلية عملها فى تصوير الأحداث، وتشكيلها طبقًا للمنظور الداخلى، وذلك من خلال سياق روائى جديد يعطى معنًى آخر جديدًا وغير معتاد، وكأنه يسرد تجربة فريدة للإنسان الحائر بين الواقع والخيال حيث الصراع المستمر بين الحلم والحقيقة التى تبدو لديه وكأنها أغرب من الخيال، وذلك من خلال أشياء الحياة التى تتجسد أمامه بصورة أخرى يتصور من خلالها أفكارًا وموضوعات ذات رؤية عميقة ومتقدمة، واندماج فى عمق الزمن الذى نعيش فيه، والتعبير عن الأشياء بشكل معنوى وحساس، ووصف مليء بألوان مختلفة ترسم صورة أخرى لعالم آخر من الخيال يسكن وعىّ

وإدراك الإنسان. وهنا يبعد الأدب عن النهج المتعارف عليه، ويبحث عن قيم أخرى يطرح فيها أسئلة مستمرة باعتبار أن كل شيء في العالم القائم يتغير باستمرار، فيبدو وكأنه غير ملموس. ويرتبط في هذا السياق بأشياء أخرى بعيدة عن الزمان والمكان القائمين حيث تجسدها الذكريات غير الثابتة والأشياء غير المستقرة في الحياة الإنسانية، وردود الفعل النفسية؛ حيث أن هذه التغيرات والهيئات الخيالية تسيطر على تأثيرات الواقع، ومن ثم يتم البعد عن الواقع الذي يبدو حينئذ وكأنه لن يعد له وجود.

يشعر القارئ وكأنه في رحلة تأمل واستكشاف وإعادة بناء للحياة والذات الإنسانية من جديد، والانتقال إلى عالم آخر من الأشكال المختلفة، واتباع المراحل والروابط ذات المزيج المعقد، والناتجة عن التغير والتحول عبر المفاهيم الجديدة والذكريات التي تغير واقع الأشياء وحقيقتها، إلى نوع آخر جديد له وجود حسي وشكل معنوي آخر من الخيال، حيث تتعارض منطقية النظام القائم في محاولة لإعادة تشكيل نظام آخر جديد وغريب وملىء بالغموض والاضطراب الذي تجسده الأشياء الجديدة والعناصر المحتملة التكوين، وصورة لا نهائية من الأشياء والموضوعات والأماكن والكائنات، وصورة أخرى ظاهرية لحقيقة الواقع يتم عرضها بطريقة خيالية ورموز وعلامات أخرى مذهلة.

نلاحظ أيضًا الخروج عن نطاق الزمن الفعلي ومعانيه، والبعد عن الموضوعات الثابتة، والبحث المستمر عن موضوعات أخرى متجددة وذات أشكال أخرى، وذات واقع آخر طليق يهدف إلى جعل القارئ يسعى دائمًا للابتكار، وخلق أشياء جديدة من خياله لا يستطيع تحقيقها في الواقع.

كما نلاحظ أيضًا أن هذا الوجه المعقد من السياق الروائي الجديد والمختلف من ناحية الزمان والمكان وعقدة التكوين، يدفع القارئ أحيانًا للبحث عن أشكال خيالية في وسط روايات أساسها واقعية الأحداث، حيث يتم اتباع الروابط المختلفة من أجل اكتشاف جوهر الأحداث التي تبدو ذات عمق وغموض، والتي يتم التعبير عنها بشكل آخر رمزي ومعنوي.

يتضح لنا أحيانا أن الذكريات الإنسانية والواقع الاجتماعي والنفسي المؤثر، وتفسير الأحداث الواقعية، وتحويل العناصر والموضوعات الحياتية باستخدام الوصف والتنقل بشكل دائم ومستمر، ومحاولة إعادة التكوين، ومتاهة الشخصيات أثناء بحثهم المستمر، وعدم ثبات هذه الشخصيات تجاه الأشياء العابرة، وظهور بعض العناصر المنبثقة في غير مواضعها الأساسية، واختلاف طبيعة الحركة، وعامل الهروب، وتطور الخيال الناتج عن ذلك البعد، والفرار من الواقع إلى طبيعة أخرى.. يعرض لنا عالمًا متجزئًا في روابطه، وفي تغيير مستمر حيث يسوده بعض العلامات والرموز والأشكال والعناصر الغريبة، ويتضح لنا ذلك من خلال التعبير والمعاني المؤثرة والانفعال الحسي في ضوء الطرق المختلفة. فالواقع الذي يعيشه الإنسان حينئذ يكون كمعنى مجازي أو كحدث تأملي، يهرب من خلاله الإنسان بفكره في محاولة لاستيعاب وفهم الأحداث التي حوله.

نلاحظ أيضًا أن علاقة الشخصيات الروائية بالأشياء، تعيد أحيانًا المعنى اللامعقول وهيئاته المختلفة؛ حيث أن هذه الشخصيات تقع في حالة من الصراع وسط التفاصيل الدقيقة لهذه الأشياء، ومن ثم ينتج عن ذلك عدم مقدرة هذه الشخصيات على خلق نظام منطقي، ومن ثم أيضًا تتحول الحياة الطبيعية إلى حياة أخرى قائمة على الظواهر التي تعمل على تكوين أشكال أخرى للمكان، وعوامل أخرى للزمان، ينتج عنها ظهور ذلك المزيج المعقد من الأنواع الأدبية الجديدة ذات الأبعاد المختلفة.

عالم الكتاب
ALAM ALKETAB
مجلة شهرية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب
لطيفة الزيات
نصوص نادرة
ملف خاص
كيف نكتب؟
ميشال بوتور
الإطاحة بالحواجز
الكتابة العربية
من النقوش إلى المخطوط
wobmag@outlook.com
السعر 15 جنيه